

الدرس الأول

١. العقيدة - مكانة التوحيد وأهميته في دين الله.
٢. الفقه - أنواع الطهارة وأقسامها.
٣. من قصص القرآن - نبي الله آدم عليه السلام (الجزء الأول).
٤. الآداب والأخلاق - بر الوالدين.
٥. السيرة عهد ما قبل النبوة.
٦. من سنن المصطفى ﷺ - السنة.
٧. من سير الرجال - أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

obbeikandi.com

مكانة التوحيد وأهميته في دين الله

﴿ إن أشرف ما تحدث به الرسل ودعوا إليه أقوامهم: هو توحيد الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

﴿ قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - : « لا إله إلا الله، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها أمر الله سبحانه جميع العباد، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته التي دعيت الأمم إليها، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وأساس الفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (١).

﴿ ولو تأملت تجد ما (من سورة في كتاب الله تعالى، بل ما من آية من آياته إلا هي داعية إلى توحيد الله وشاهدة به أو متضمنة له، وذلك لأن القرآن: إما خبرٌ عن الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله وهذا هو توحيد الربوبية وتوحيد الصفات، وإما دعاءٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلعٌ ما يعبد من دونه، أو أمرٌ بأنواعٍ من العبادات ونهي عن المخالفات، وهذا هو توحيد

(١) إعلام الموقعين ج ١ ص ٤.

الألوهية والعبادة، وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل التوحيد وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة وهذا هو جزاءُ توحيدِهِ، وإما خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من الوبال فهو جزاء من خرج عن حكم توحيدِهِ^(١)

❦ قال الله تعالى في أول أمر في كتابه الكريم أمرَ به عباده : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] فقد أمرهم بعبادته وحده لا شريك له، ولم يخص نوعاً معيناً من العبادة ليعم جميع أنواع العبادة .

❦ بل لقد أمضى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً يؤصّل التوحيد في نفوس أصحابه ويعمّقه في قلوبهم ، فلم يبدأ بالفروع والأحكام ، وإنما بدأ بما بدأ به قبله من الأنبياء والرسل ﴿ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَآجْتَنِبُوا آلطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]^(٢) .

❦ (فتوحيد الله هو الأساس الذي يُبنى عليه كل تكليف ومنه يبدأ التغيير ، ولذلك لما كان التوحيد أولاً كانت النتائج العظيمة بعده، فقد طُهرت جزيرة العرب من الوثنية ، وقامت دولة التوحيد فيها ، فما لبثوا حتى ملكوا الدنيا ، فحصل لهم التمكين والاستخلاف ، ثم فتح الله عليهم البلاد ، وأدان لهم العباد، بعد تحقق الشرط ﴿ يَعبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ [النور: ٥٥]^(٣) .

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص ٣٨ - ٣٩) للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .

(٢) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : وأجمع ما قيل في تعريف الطاغوت هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله بأنه : ما تجاوز به العبد حده من متبوع أو معبود أو مُطاع ، ومراده من كان راضياً بذلك (القول المفيد على كتاب التوحيد - الشيخ محمد بن صالح العثيمين) ص ٣٠ .

(٣) دمعة على التوحيد - المنتدى الإسلامي .

❖ **بل تحقق لهم الأمن والرخاء والنعمة والاهتداء .** مصداق قوله تعالى :
 ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

❖ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -** : « من تدبر أحوال العالم
 وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صلى الله
 عليه وسلم ، وكل شر وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك ، فسببه
 مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى غير الله .»

❖ **ثم هاهو رسول الله ﷺ** في لحظاته الأخيرة يودع أصحابه بوصية
 مخصصة، يحرص فيها على بيان هذا الأمر العظيم ويحذر من الوقوع في مخالفته
 كما بدأه أول مرة .

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة وعبد الله بن عباس - رضي الله
 عنهما - قالا : (لما نزل برسول الله ﷺ الموت طفق يطرح خميصة على وجهه
 فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود
 والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يُحذَرُ مما صنعوا ^(١) حماية للتوحيد
 من الشرك والبدع ، والتحذير من الغلو والزيغ، كل هذا يدل على عظم أمر
 التوحيد وأنه من أجل مسائل الدين وأهمها .

❖ **والسؤال المهم بعد ذلك** : كيف يحقق المرء التوحيد في حياته؟! هذا ما
 سيكون الحديث عنه في الدرس القادم - بمشيئة الله تعالى - .

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٥) في الصلاة ، ومسلم رقم (٥٣١) في المساجد .

✽ الدروس المستفادة :

١ - خطأ البعض في عدم اهتمامهم بشأن التوحيد والعناية بأمره والتهوين من شأنه .. تعلماً وتطبيقاً، وهو خلاف ما عليه أمر الله ورسله من رفع شأنه وتعظيم أمره كما تقدم .

٢ - إن وقوع الناس في بعض الشركيات والبدع، والتي هي من أعظم المنكرات، هو بسبب جهلهم بمسائل التوحيد والسؤال عنها، وبسبب تلبيس بعض الجهال على الناس ونشرهم لخرافاتهم، ودعوتهم إليها .

أنواع الطهارة وأقسامها^(١)

✽ سنخصص الحديث في هذا الدرس عن معنى الطهارة وعن أقسامها وأنواعها.

أما معنى الطهارة : فهي النظافة والنزاهة .

والطهارة نوعان حسية ومعنوية .

فأما الحسية فهي رفع الحدث وإزالة الخبث .

ونقصد بالحدث : هو ما يمنع من الصلاة ونحوها ، مثل البول والغائط وخروج الريح ونحو ذلك ، فمن بال أو تغوط أو خرج منه ريح فهو على حدث ولكنه حدث أصغر يرتفع بالوضوء .

ومن كان جنباً من جماع ونحوه فهو على حدث ولكنه حدث أكبر لا يرتفع إلا بالغسل .

وأما الخبث : فالمقصود به النجاسة ، فلا تحصل طهارة البدن أو الثوب أو البقعة^(٢) إلا بإزالة النجاسة منها .

علماً أن هناك فروقاً بين الطهارة من الحدث والطهارة من الخبث :

(١) انظر في هذا المبحث إلى الشرح الممتع للشيخ محمد بن صالح العثيمين ج ١ .

(٢) البقعة : المكان الذي يصلى عليه .

الفرق الأول : أن الطهارة من الحدث تحتاج إلى نية ، فلا يصح الوضوء أو الغسل بلا نية .

مثال ذلك : من نسي أنه على جنابة، ثم دخل ليغتسل للنظافة أو للتبرّد، ولم يَنوِ رفع الحدث فإن الحدث (وهو الجنابة) لا يرتفع، وإنما يبقى المرء على جنابة. أما الطهارة من الخبث وهي النجاسة، فلا تحتاج إزالتها إلى نية.

مثال ذلك : ثوبٌ نجسٌ معلق أو منشور، نزل عليه ماء من السماء (مطر) فذهب به أثر النجاسة من الثوب، فإنه يطهر ولو لم يَنوِ صاحبه ذلك أو يفعله بنفسه .

الفرق الثاني : الطهارة من الحدث لا تكون إلا بالماء أو التيمم بالصعيد ، أما إزالة النجاسة فإنه يحصل بأي شيء يزول به أثر النجاسة ، سواء كان ماءً أو (بنزيناً) أو مسحاً بقطعه قماش أو غيره ، فالنجاسة شيء قذر متى زالت زال حكمها .

الفرق الثالث : أن زوال الخبث يُعذر فيه الناسي، ولا يعذر الناسي في رفع الحدث .

مثال ذلك : من صلى ظاناً أنه على طهارة ، فلما فرغ من صلاته تذكّر أنه فاقد للطهارة ، وأنه لم يتوضأ، يجب عليه أن يعيد الصلاة ولا يعذر بنسيانه هذا، أما من صلى وقد نسي أن على بدنه أو ثوبه نجاسة فلما فرغ رأى النجاسة ، فإنه يعذر بنسيانه ولا يعيد صلاته .

❦ **وأما النوع الثاني من الطهارة فهي الطهارة المعنوية :** وهي أعظم الطهارتين وبها تصح وتكمل جميع الأعمال والعبادات من المسلم، والمقصود من الأعمال هي : طهارة القلب من الشرك والبدع ومن كل خُلُقٍ رذيل .

فقد وصف الله المشركين بأنهم نجس لشركهم بالله فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا
 الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ [التوبة: ٢٨] وليس
 المقصود بأنهم نجسين نجاسة حسية بل معنوية. ونفى النبي ﷺ هذه النجاسة عن
 المؤمن فقال : (إن المؤمن لا ينجس) ^(١) .

كما أن من الطهارة المعنوية : طهارة القلب من الحسد والبغضاء للمؤمنين
 ولهذا نفى النبي ﷺ كمال الإيمان عن لا يجب لأخيه ما يجب لنفسه فقال ﷺ :
 (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ^(٢) .

(١) رواه البخاري (٨٠/١ - ٨١) ومسلم (١٩٤/١) من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري (١١/١) ومسلم (٤٩/١) من حديث أنس بن مالك .

آدم عليه السلام^(١)

﴿ قبل أن يخلق الله سبحانه آدم كان خلقُ الملائكة وخلق الجن . ثم اقتضت حكمته جلّ وعلا أن يخلق الإنس ، وكان ابتداء خلقهم في آدم عليه السلام .

قال الله تعالى وهو يذكر في كتابه الكريم قصة الخلق الأولى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

قال ابن كثير — رحمه الله — : (وإخبار الله تعالى للملائكة هنا إخبار على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه .

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قال المفسرون : أي يخلف بعضهم بعضاً وهم ولد آدم ، أو خليفة لمن قبله ممن سكن الأرض ، فقد جاء عن ابن عباس وعبد الله بن عمر وقتادة : أن أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها ، وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً ، فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة فطردوهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، ولهذا قالت الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ سائلين الله تعالى على وجه الاستكشاف والاستعلام

(١) المصادر : تفسير جامع الطبري — سورة البقرة ، قصص الأنبياء لابن كثير — قصة آدم عليه السلام ، معالم التنزيل للبغوي — سورة البقرة ، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي — سورة البقرة .

عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتقصص من بني آدم والحسد لهم ،
وقيل لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالباً .

وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله من سفك الدماء
والفساد في الأرض ، فاستفظعت أن يكون لله خلق يعصيه .

فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٨] فكان من علم الله أنه
سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسول وقوم صالحون من أهل الطاعة والولاية
لله ، وإن كان فيهم غير ذلك وسواهم ، وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٩] أي مما كان ويكون وما هو كائن .

فخلق الله آدم مسن تراب ، قال الله تعالى في ذلك : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَآءٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨]
وقال : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ [ص: ٧١]

قال القرطبي — رحمه الله — في تفسيره : « وإنما سمي آدم لأنه خُلِقَ من
أديم الأرض، وإنما سمي إنساناً لأنه نسي » قيل أنه أخذ من وجه الأرض، وخلط
ولم يؤخذ من مكان واحد، وأنه أخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك
خرج بنو آدم مختلفين، وقد خلقه الله وسواه بيديه، تكريمة له وتعظيماً لأمره
وتشريعاً له على سائر خلقه، فكان جسداً من طين، بقي كذلك جسداً لا روح
فيه أربعين سنة، فلما مرت به الملائكة فزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم فزعاً
إبليس، فكان يمر به فيضربه، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار، وتكون له
صلصلة، ويقول : لأمر ما خُلِقْتُ !! ودخل فيه فخرج من دبره، وقال : لئن
سلطت عليه لأهلكه .

فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] فلما نفخ فيه الروح، دخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة: قل: الحمد لله. فقال: الحمد لله، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه إلى ثمار الجنة، ووقع الملائكة حين استوى سجوداً له حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم وطاعة لأمره الذي أمرهم به .

قال الإمام الطبري : « وكان سجود الملائكة لآدم تكرامة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم ». وقال قتادة : « الطاعة لله والسجدة لآدم أكرمه الله بما » .

إلا ما كان من عدو الله إبليس فإنه قام من بينهم ولم يسجد، مكابراً على ما كان في نفسه من الحسد والبغي والكبر وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١] وقال: ﴿ الْإِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١] وقال: ﴿ الْإِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] قال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ [الأعراف: ١٢]. وقال: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١]. فكفره الله بذلك .

وكل من سفه شيئاً من أمر الله أو أمر رسوله كان حكمه حكمه، وهذا ما لا خلاف فيه .

❖ قال الإمام مالك بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر ، حسد إبليس آدم " .

وقال قتادة : « وكان بدء الذنوب الكبر ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه » .

﴿ فكتب الله عليه اللعنة وطرده من الجنة قال تعالى : ﴿ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣] فأقسم بعزة الله ليغوين آدم وذريته وزوجه وليقعدن لهم بكل صراط ليصدهم عن طاعة الله وحسن عبادته ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] فزجره الله وطرده : ﴿ قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨]

﴿ ثم أسكن الله آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ وإذا عند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها الله من ضلعه ، كأحسن ما خلق الله ، فسألها من أنت؟ فقالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: تسكن إلي، فقالت له الملائكة، ينظرون ما بلغ من علمه الذي علّمه الله: ما اسمها؟ قال: حواء ... وسميت حواء لأنها خلقت من حي .

فقال الله له: ﴿ وَيَتَّادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩]

وللحديث بقية في إكمال قصة نبي الله آدم عليه السلام .

بر الوالدين

❖ لقد تعددت نصوص الكتاب والسنة في بيان أهمية مكانة البر بالوالدين وعَظَمَهَا، حتى قرنه الله بحقه العظيم الذي لا حق أعظم من حقه وهو توحيده جَلُّ وعِلا، وعبادته وحده، فقال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسِنَا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسِنَا ﴾ [النساء: ٣٦] فجعل الإحسان إلى الوالدين يلي الأمر بعبادته وحده وتنزيهه من الشرك .

❖ قال الحافظ ابن كثير — رحمه الله — : (أعلى الحقوق وأعظمها هو حق الله تبارك وتعالى وهو أن يُعبد وحده لا شريك له ، ثم بعده حق المخلوقين، وأكثرهم وأولاهم بذلك هو حق الوالدين ، ولهذا قرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين) (١) .

❖ وقال الإمام الشوكاني — رحمه الله — : (وفي جعل الإحسان إلى الأبوين قريناً لتوحيد الله وعبادته، من الإعلان بتأكيد حقهما والعناية بشأهما ما لا يخفى) (٢) .

❖ وقد أثنى الله تعالى على بعض أنبيائه بأمهات الصفات الحسنى وجعل منها برهم بوالديهم .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص (١١٤) .

(٢) فتح القدير (٢١٨/٣) .

ومن أولئك الأنبياء، نبي الله يحيى عليه السلام فقد قال الله تعالى في معرض الثناء عليه : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مریم: ١٤].

ومثله نبي الله عيسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل، قال الله تعالى حكاية عن قوله وهو في المهدي : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مریم: ٣٢] .

❦ وفي النصوص النبوية استفاضة غنية بجليل الوصايا وعظيم الحث على الترغيب والترهيب لأمر البر والإحسان بالوالدين .

ومن تلك الأحاديث، حديث عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — حيث قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : (الصلاة على وقتها) . قلت ثم أي ؟ قال : (بر الوالدين) . قلت ثم أي ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله)^(١)

وقد جعل الله تعالى بر الوالدين سبباً في دخول الجنان والفوز برضا الرحمن . بل زجر الرسول ﷺ وعنف على من أدرك أبويه ولم يدخل ببهما الجنة فقال عليه الصلاة والسلام : (رغم أنف .. ثم رغم أنف .. قيل من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة)^(٢) وقال : (رضا الرب في رضا الوالد ، وسخطه في سخط الوالد)^(٣) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٥١) في الأدب .

(٣) أخرجه الترمذي رقم (١٩٠٠) في البر والصلة وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٢/١) وإسناده صحيح « انظر جامع الأصول (٤٠١/١) » .

❖ فبر الوالدين واجب بالإجماع، ولو كان الأبوان كافرين أو فاسقين أو عاصيين، غير أنه لا يطيعهما في معصية الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

قال الإمام الجصاص: (قال أصحابنا في المسلم يموت أبواه وهما كافران إنه يغسلهما ويتبعهما ويدفنها لأن ذلك من الوصية بالمعروف التي أمر الله بها)^(١)

❖ ولم يحدد الإسلام أو يذكر أنواع الإحسان بالأبوين ويفصله، وإنما أجمله بكلمة جامعة مانعة وهي (البر) لتخضع هذه الكلمة بكل محاسنها للظروف والأحوال والحاجة والقدرة وللذوق الإنساني والعرف الاجتماعي والشعور الحي لدى الأبناء. ثم نهي بقوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] نفيًا لكل ما يجلب بذلك الحق العظيم .

❖ قال ابن الجوزي — رحمه الله — : (برهما يكون بطاعتها فيما يأمران به ما لم يكن بمحذور، وتقديم أمرهما على فعل النافلة، والاجتناب لما نهي عنه، والإنفاق عليهما والتوخي لشهواتهما، والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبه لهما، فلا يرفع الولد صوته، ولا يحدق إليهما، ولا يدعوها باسمهما، ويمشي وراءهما، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما)^(٢).

❖ وقال الحسن البصري — رحمه الله — : (ما يعدل بر الوالدين شيء من التطوع لا حج ولا جهاد).

(١) أحكام القرآن (٢: ٢٣٦).

(٢) البر والصلة لابن الجوزي .

❖ وبكى إياس بن معاوية — رحمه الله — حين ماتت أمه فقيل له في ذلك.
فقال : كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما (١).

❖ وعن آل سيرين قال : ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع (٢).

❖ وكان حيوه بن شريح — وهو أحد أئمة المسلمين — يقعد في حلقتة يعلم الناس فتأتيه أمه تقول : قم يا حيوه فألق الشعر للدجاج فيقوم ويترك التعليم (٣).

❖ ورأى ابن عمر رضي الله عنه رجلاً يمانياً يطوف بالبيت وقد حمل أمه وراء ظهره وهو يقول :

إني لها بعيرها المذل إن أذعرت ركاها لم أذعر
الله ربي ذو الجلال الأكبر حملتها أكثر مما حملت

فهل ترى جازيتها يا ابن عمر

فقال له ابن عمر : لا .. ولا بزفرة واحدة من زفرتها !!.

❖ أخى المسلم : وبعد فهذه وصايا الله إليك من فوق سبع سموات في كتابه الكريم، ووصايا رسوله إليك بوالديك، وهاهما بجوارك قد تسلل المشيب إليهما، واحدودب الظهر منهما، وارتعشت الأطراف لديهما، ولربما لا يقومان إلا بصعوبة، ولا يجلسان إلا بمشقة .. أنهكتهما الأمراض، وزارتهما الأسقام

(١) البر والصلة لابن الجوزي .

(٢) البر والصلة لابن الجوزي ... ومعنى يتضرع : يتهل.

(٣) البر والصلة لابن الجوزي

والأوجاع، وظهر تعب الزمان عليهما، فعليك بوصية الله ورسوله فيهما، ألن جانبك لهما، وارع حقهما، وقبّل رأسهما، واسكب الدمعة على قدميهما، لعل الله يرحمك بهما، ويعفو عن تقصيرك في حقهما .

عهد ما قبل النبوة

❁ كان العرب قبل الإسلام يدينون بالحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام، فكانوا يعبدون الله وحده .. حتى طال عليهم الأمد فقسفت قلوبهم فنسوا حظاً مما ذكروا به ، تبدل على إثرها الحال فصاروا أمة جاهلية .. تعبد الأوثان وتسجد للأصنام وتعظمها .. وها هنا وقفة نزيح فيها الستار عن هذا الأمر العجيب لنرى كيف بدأ ذلك الانحراف ...

تذكر كتب السيرة : أن رجلاً يدعى عمرو بن لحي، رئيس قبيلة خزاعة وكان من أكابرهم، سافر إلى الشام فرآهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك، فقدم معه بهبل وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله، فأجابوه، ثم لم يلبث أن اتبعهم أهل الحجاز، حتى اشتهرت لديهم ثلاثة أصنام، وهي : مناة وكانت بالمشلل على ساحل البحر الأحمر .

واللات : في الطائف .

والعزى : بوادي نخلة .

وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة النجم في معرض الإنكار عليهم بقوله:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ آلَ اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ الْأَمْرِئِيِّ ﴿١٢﴾ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠].

قال النبي ﷺ في جزاء عمرو بن لحي وما آل به هذا الأمر في الآخرة من النكال : (رأيت عمرو بن لحي وهو يجرُّ قُصْبَةً في النار)^(١)

❖ ثم كثر الشرك بعد ذلك وكثرت الأوثان ، حتى صار لكل قبيلة ثم في كل بيت صنم ، وقد ملأوا المسجد الحرام بالأصنام ، ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل يطعنها فتساقط، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت .

❖ وكانت أهم تقاليد ومراسم عبادة الأصنام لديهم أنهم كانوا :

* يعكفون على الأصنام ويلتجئون إليها في الشدائد ويستغيثون بها .

* يطوفون حولها ويسجدون لها .

* يتقربون إليها بأنواع القرابين ويذبحون لها ، وهو المستنكر عليهم بقوله تعالى : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ ﴾ [المائدة: ٣] .

❖ ومن أحوالهم الشركية أيضاً : أنهم كانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين الذين يدعون معرفة أمور الغيب ونحوها، وكانت فيهم الطيرة والتشاؤم، ومع ذلك فقد كان فيهم بقايا من دين إبراهيم عليه السلام كتعظيم البيت، والطواف، والحج، والعمرة، والوقوف بعرفة، ومزدلفة، ولكنها بقايا مملوءة بالبدع والمحدثات التي لا أصل لها.

❖ وأما الحالة الاجتماعية .. فليست بأحسن حال من أوضاع دياناتهم، فقد كانت العلاقة بين القبائل المختلفة متفككة الأوصال، وكانت قواهم متفانية في الحروب على أتفه السباب، وما حرَّبي داحس والغبراء وحرب البسوس التي

(١) رواه البخاري (٣٩٩/٦) في الأنبياء ، ورواه مسلم رقم (٢٨٥٦) في الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

دامت أعواماً عديدة ، بسبب جميلين ، والأخرى بسبب ناقة تدعى البسوس ، إلا مثلاً على تلك الحالة المتدهورة .

ووأد البنات .. وما أدراك ما وأد البنات !! عار تلتخ بسمعته أهل تلك الفترة وهو: أن يقتل الآباء بناهم أو يدفونهم أحياء خشية العار أو الإنفاق . وفاحشة الزنى كانت من الفواحش الشائعة في تلك الأوساط الجاهلية لا يتنزه عنها إلا أفراداً من الرجال والنساء الذين كانت تتعاضم نفوسهم أن تقع في مثل هذه الرذيلة .

❖ وأما التعداد فكانوا يعددون الزوجات من غير حد ، ويجمعون بين الأختين وينكحون زوجة الأب إذا ما طلقها أو مات عنها، وليس لعدد الطلاقات حد لديهم .

❖ وقصارى ذلك أن الحالة الاجتماعية كانت في الحضيض من الضعف والعماية ، فالجهل ضارب أطنابه، والخرافات لها جولة وصوله ، والناس يعيشون كالأنعام ، والمرأة تباع وتشترى ، والعلاقة بين الأمة واهية مبتوتة .

ومع ذلك فلا يُنكر أن في أهل الجاهلية من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما تروع الإنسان وتفضي به إلى الدهشة والعجب، كالكرم والوفاء بالعهد، وعزة النفس والإباء، والشجاعة والمضي في العزائم، فكان من نتائج ذلك أن شاع فيهم الصدق والأمانة، والنفور من الخداع والغدر .

❖ فلربما كانت تلك الأخلاق والصفات الحميدة مع ما كان لجزيرة العرب والحجاز من الموقع بالنسبة للعالم سبباً في اختيارهم لحمل عبء هذه الرسالة العظيمة العامة ، وقيادة الأمة الإنسانية والمجتمع البشري بتأييدهم ونصرتهم لرسول الله ﷺ حينما بعث عليه الصلاة والسلام .

السنة

❖ السنة في كلام العرب تطلق على الطريقة والسيرة، فهي الطريقة التي يسلكها الإنسان ويعتادها.

❖ والسنة في الشريعة : هي كل ما اضيف إلى النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير^(١) مما يدل على الأحكام الشرعية .

قال ﷺ : (ومن يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)^(٢)

وبناء على هذا التعريف فإن السنة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : أقوال، وأفعال، وتقارير.

❖ أما أقوال النبي ﷺ : فهي ما رواه أصحاب النبي ﷺ من أحاديثه التي نطق بها فسمعوها منه وحفظوها ثم نقلوها لنا، وهي ما تعرف بالسنة القولية. ومنها قوله ﷺ : (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة)^(٣) .

(١) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٣١ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة (٤٥٨٣) ص ٣٥٩ ج ١٢ وأخرجه الترمذي في سننه / كتاب العلم / (٢٨١٥) ص ٤٣٨ ج ٧ تحفة الأحوذى بشرح الترمذي.

(٣) أخرجه البخاري / كتاب الأشربة / (٥٦٣٣) ص ٩٨ ج ١٠ فتح الباري.

فهذا قول من أقوال النبي ﷺ يتضمن النهي عن لبس الحرير والديباج للرجال وتحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة . ومن أقوال النبي ﷺ أيضاً: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ^(١) .

❖ أما أفعاله عليه الصلاة والسلام فهي ما صدر عنه من أفعال وأعمال ثبت نقلها عنه ﷺ بالنقل الثابت الصحيح، وهي كثيرة تعرف بالسنة الفعلية، ومنها قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده) ^(٢) . فهذا فعل منه عليه الصلاة والسلام، ومثله قولها رضي الله عنها: (كان الرسول ﷺ يقبل وهو صائم) ^(٣) .

❖ وأما القسم الثالث من سنته عليه الصلاة والسلام فهي تقريراته، أي ما أقره رسول الله ﷺ مما صدر عن الصحابة رضوان الله عليهم من أقوال وأفعال، إما بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه ورضاه.

ومن ذلك قول جابر رضي الله عنه: (كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا) ^(٤) ومن ذلك إقراره لمن تيمم من الصحابة لعدم وجود الماء ثم وجد بعد الصلاة ولم يعد صلاته وقال له: أصبت السنة ^(٥)

(١) رقم (١) ص ١٥ ج ١ كتاب بدء الوحي / فتح الباري.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب (٥٧٣٥) ص ٢٠٥ ج ١٠ وأخرجه مسلم بلفظه في كتاب السلام ص ١٨٣ ج ١٤ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الصيام رقم (١٩٣٨) ص ١٥٣ ج ٤ فتح الباري، وأخرجه مسلم بلفظه في كتاب الصيام ص ٢١٧ ج ٧ مسلم بشرح النووي.

(٤) أخرجه مسلم كتاب النكاح ص ١٤ ج ١٠ مسلم بشرح النووي.

(٥) أخرجه أبو داود كتاب التيمم رقم (٣٣٤) وأخرجه النسائي في كتاب الطهارة ص ١٧٢ ج ١.

ومن ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه : (وكان خبيب أول من سنَّ الركتين عند القتل)^(١) .

قال العلامة القسطلاني : (وإنما صار ذلك سنة لأنه فعل في حياته ﷺ فاستحسنه وأقره)^(٢) .

❁ وما تقدم ذكره من الأمثلة يدل على أن السنة منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقاً على حديث : (إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة)^(٣) قال : فيه إشارة إلى أهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجباً كان أو مندوباً^(٤) .

ولقد كان السلف رحمهم الله يفعلون كل مطلوب شرعاً، دون تمييز بين ما يطلب على سبيل الفرض والوجوب وبين ما يطلب على سبيل الترغيب والندب. فالسنن المندوبة حصن للفرائض الواجبة وباب لزيادة الحسنات وعنوان الحب والإتباع لهدي الرسول ﷺ وهي من أكبر المغائم وأفضل القربات . فعليك بها أخي المسلم .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد رقم (٣٠٤٥) ص ١٩١ ج ٦ فتح الباري.

(٢) إرشاد الساري (٢٦١/٥).

(٣) أخرجه البخاري / كتاب الفتن / (٧٠٨٦) ص ٢٣٨ ج ١٣ فتح الباري.

(٤) ص ٣٩ ج ١٣ فتح الباري.

سيرة الصديق أبو بكر رضي الله عنه ^(١)

❖ وهو صديق هذه الأمة، وصاحب رسول الله ﷺ في الغار يوم الهجرة، المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ ﴾ [الزمر: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠].

له رحلة طويلة مع النبي ﷺ في جهاده ودعوته ونصرة رسالته، قال عليه الصلاة والسلام: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما تأخر حين ذكرته له، ما تردد فيه) ^(٢).

❖ فقد كان صاحباً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، ثم كان أول من آمن به ^(٣)، واستمر معه طوال إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى أن مات.. عليه الصلاة والسلام، واستقر خليفة في الأرض بعده، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله ﷺ.

❖ قال فيه حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ :

إذا تذكّرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

(١) المصادر : الإصابة في تميز الصحابة ج ٤ ص ١٤٥، أسد الغابة ج ٣-٣١٧، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٧.

(٢) أسد الغابة ج ٣-٣١٧، وورد عند زرير (وما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة إلا أبو بكر فإنه لم يتلعثم في قوله) ورواه بمعناه الديلمي في مسند الفردوس (جامع الأصول ٥٨٥/٨).

(٣) قال إبراهيم النخعي : أول من أسلم أبو بكر رضي الله عنه .

خير البرية أتقاهما وأعدلها بعد النبي وأوفاهما بما حملا
 التالي الثاني المحمودُ شتمته وأول الناس طُرّاً صدقَ الرسلا

❦ اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التميمي أبو بكر بن أبي قحافة، ولد بعد عام الفيل بستين وستة أشهر .

❦ أخرج ابن البرقي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي فكان النبي ﷺ أكبر .

❦ وكان رضي الله عنه أبيضاً نحيفاً، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتئ الجبهة، يخضب بالحناء والكتم، وكان أنسب العرب وأعلم قريش بأنسابها، وكان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً، سهلاً وكان تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان قومه يألفونه لعلمه وتجاربه وحُسن مجالسته، ولذا فإنه لما أسلم وجعل يدعو إلى الإسلام أسلم على يديه رجالٌ كان بهم عزة الإسلام أمثال: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين وكل هؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة .

❦ قال الحافظ بن حجر — رحمه الله — : ومناقب أبي بكر رضي الله عنه كثيرة جداً ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [التوبة: ٤٠] .

❦ وفي الصحيح عن عمرو بن العاص قلت يا رسول الله: أيُّ الناس أحبُّ إليك قال: عائشة، قلت من الرجال قال: أبوها .

❦ ولم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها .

❦ لما توافدت جموع المسلمين بالهجرة إلى المدينة. ورسول الله ﷺ لم يزل في مكة ينتظر أمر الله عز وجل، كان أبو بكر يستأذنه في الخروج فيقول له رسول الله ﷺ: (لا نعجل لعل الله يجعل لك صاحباً) فلما جاءه الأمر من الله تعالى بالهجرة جاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وهو نائم فأيقظه فقال له رسول الله ﷺ: (قد أذن الله لي في الخروج) فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، قال : نعم فبكى أبو بكر رضي الله عنه من الفرح .

❦ ولما دنت وفاة النبي ﷺ خطب عليه الصلاة والسلام فقال : (إن رجلاً خيّر الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله) فبكى أبو بكر، يقول الراوي: فتعجبنا لبكائه يُخبر النبي ﷺ عن رجل قد خيّر وكان هو المُخَيَّرُ ﷺ وكان أبو بكر أعلمنا به ، فقال رسول الله ﷺ : (لا تبك يا أبا بكر إن أمنَّ الناس في صحبته (أي في صحبتي) وماله أنت، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذتك خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته، ثم قال: لا يبقين في المسجد باب إلا سدَّ إلا باب أبي بكر)^(١).

❦ وقال: (ما نفعتي مالٌ قط ما نفعتي مالٌ أبي بكر) فبكى رضي الله عنه وقال وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله)^(٢).

❦ وقد استخلفه رسول الله ﷺ مكانه في إمامة الناس بالصلاة إبان مرضه وقال: «لِيُصَلَّ أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ». قالوا: لو أمّرت غيره يا رسول الله — لرقته

(١) رواه البخاري — كتاب الصلاة (١٢٦/١) .

(٢) رواه أحمد (٢٥٣/٣) وابن ماجه (٣٦/١) .

في الصلاة وغلبة البكاء عليه - قال : (لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره)^(١).

❦ ولما توفي رسول الله ﷺ بويع لأبي بكر بالخلافة فكان أول خليفة في الإسلام، وأول من حج أميراً في الإسلام، وهو أول من جمع القرآن، وقد بشره رسول الله ﷺ قتاله لأهل الردة ومانعي الزكاة وقضائه على مسيلمة الكذاب .

❦ وأما أعماله في الفتوحات فقد أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أرض البصرة فغزا الأبله فافتتحها، وافتتح مدائن كسرى بالعراق صلحاً لا حرباً، وبعث عمرو بن العاص إلى الشام فكانت وقعة أجنادين سنة ١٣هـ، ونصر الله المسلمين، وبُشر بها أبو بكر وهو بآخر رمق له من حياته،^(٢) رضي الله عنه وأرضاه .

❦ مرض أبو بكر لسبع خلون من جمادى الآخر وحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر يصلي بالناس، ويدخل عليه الناس يعودونه، وهو يثقل كل يوم حتى كانت وفاته رضي الله عنه مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخر سنة ١٣ هـ .

فكانت خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ عن عمر يناهز عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته وهو ٦٣ سنة .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٧٤) في المناقب وإسناده ضعيف قال الأرنؤوط : له شواهد بمعناه يرقى بها، منها التي بعده . انظر جامع الأصول (٨/٥٩٣).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي .